

عصـر الـوـحدـة

(١) أيتها الرفيقات والرفاق

نـحن اـمام ظـرف خـطـير لاـيجـوز ان نـسـتـهـين بـه اوـنـخـفـف مـن خـطـورـتـه وـلـكـنـا فيـ
الـوقـت نـفـسـه نـشـعـر اـنـا اـقـدـرـاـقـوـيـ من ايـ وـقـتـ مـضـىـ عـلـىـ مـواجهـةـ الـظـرـوفـ الـخـطـيرـةـ
وـانـاـ مـهـمـاـ تـبـلـغـ خـطـورـتـهاـ نـسـتـطـيعـ بـلـ يـجـبـ انـ نـحـيلـهاـ عـلـىـ قـوـةـ جـدـيـدةـ تـضـافـ عـلـىـ ثـورـتـناـ
الـعـرـبـيـةـ الصـاعـدـةـ،ـ بـحـثـ عـنـ عـارـضـ الـوقـتـ الـمـصـطـنـعـ فـيـ الـمـؤـامـرـةـ الـكـبـيرـةـ الـتـيـ
دـبـرـهـاـ اـعـدـاءـ الـأـمـةـ لـكـيـ نـكـشـفـ اـصـطـنـاعـهـ وـضـعـفـهـ وـلـكـيـ نـسـهـلـ عـلـىـ جـمـاهـيرـنـاـ الـعـرـبـيـةـ
وـالـمـنـاضـلـيـنـ الـثـورـيـنـ فـيـ سـائـرـ اـرـجـاءـ وـطـنـنـاـ الـكـبـيرـ انـ يـتـغـلـبـواـ عـلـىـ هـذـاـ الـخـطـرـ عـنـدـمـاـ
يـعـرـفـونـ مـاـ يـنـطـويـ عـلـيـهـ مـنـ خـدـعـةـ وـنـكـشـفـ اـيـضـاـ عـنـ الـجـدـيـةـ وـالـعـوـاـمـلـ الـحـقـيقـيـةـ الـتـيـ
كـانـتـ الـمـؤـامـرـةـ لـتـقـومـ وـلـتـكـبـرـ عـلـىـ هـذـاـ الـحـدـ لـوـلـ ثـغـرـاتـ وـاـمـرـاـضـ وـنـوـاقـصـ مـازـالـتـ قـائـمـةـ
فـيـ مـجـتمـعـنـاـ فـيـ بـنـيـاتـنـاـ الـقـومـيـ فـيـ تـكـوـينـ ثـورـتـنـاـ الـمـعاـصـرـةـ.ـ تـأـتـيـ التـحـديـاتـ لـتـزـيدـنـاـ
تـنـبـهـاـ وـلـتـزـيدـ خـطـانـاـ سـرـعـةـ فـيـ مـعـالـجـتـهاـ لـكـيـ يـصـبـعـ الـبـنـيـانـ مـتـبـناـ وـاـكـثـرـ مـنـعـةـ وـضـلـابـةـ.
قـلـمـاـ عـرـفـنـاـ ظـرـفـاـ فـيـ حـيـاتـنـاـ الـقـومـيـ،ـ فـيـ مـسـيـرـةـ حـزـبـنـاـ الـعـظـيمـ كـانـتـ فـيـ الـأـمـرـ
وـاضـحـةـ عـلـىـ هـذـاـ الـحـدـ.ـ وـهـذـهـ عـلـامـةـ اـيـجـابـيـةـ مـشـجـعـةـ لـانـ هـذـاـ الـوـضـوحـ فـيـ الـظـرـفـ
وـفـيـ تـصـرـفـاتـ الـأـعـدـاءـ وـعـمـلـاـتـهـمـ لـيـسـ مـقـصـودـاـ مـنـ قـبـلـهـمـ بـقـدـرـ ماـهـوـنـيـةـ لـتـقـدـمـ الـثـورـةـ
الـعـرـبـيـةـ وـلـكـونـهـاـ لـمـ تـدـعـ تـرـكـ لـلـأـعـدـاءـ وـادـوـاتـهـمـ فـسـحةـ وـاسـعـةـ لـلـتـسـتـرـ وـالـمـغـالـطـةـ
وـالـأـلـتوـاءـ.ـ .ـ .ـ

انـاـ كـعـربـ وـكـثـورـةـ عـرـبـيـةـ نـعـانـيـ مـنـذـ سـنـوـاتـ وـمـنـذـ سـنـةـ وـبـضـعـةـ اـشـهـرـ عـلـىـ وـجـهـ

(١) حـدـيـثـ مـعـ طـلـبـةـ الدـوـرـتـيـنـ الـثـالـثـةـ عـشـرـةـ الـخـاصـةـ وـالـتـاسـعـةـ عـشـرـةـ الـعـامـةـ بـمـدـرـسـةـ الـأـعـدـادـ الـحـزـبـيـ فـيـ ٢٨/٣/١٩٧٨ـ.

التخصيص، نعاني من ظاهرة شاذة في الحياة العربية في السياسة العربية تكاد تكون ظاهرة فريدة، ظاهرة مرض وشذوذ هذه التي تمثل في شخص السادات وفي عقليته ونفسيته وممارساته، فقد عرفا عهودا رجعية مفرطة في رجعيتها فاسدة ومفرطة في فسادها مرتبطة بالاجنبي تأتمر بتوجيهاته ولكننا لم نعرف بعد مثل هذه الظاهرة بخاصة عندما تظهر في اكبر قطر عربي ، في قطر كانت له دوما القيادة والريادة والتقليل الاكبر في التاريخ العربي ، في الحضارة العربية في مواجهة العزوات التي دبرها الغرب منذ العصور الوسطى ضد الامة العربية .

هذه الظاهرة اذا توافرنا عندها قليلا فلكي لا تأخذ في تصورنا حجما اكبر مما تستحق ولكي لاتدخل اي اثر للوهن في عزيمتنا فالسادات اذا نظرنا الى الوقت والى الظروف التي جاء فيها الى الحكم في هذا القطر الكبير الذي يعادل كما يردد السادات وابواق اعلامه نصف الامة العربية من حيث العدد ومن حيث الامكانيات، في اي ظرف جاء السادات؟ بعد ان قضى ما يقرب من العشرين عاما في زوايا الاهمال في عهد عبدالناصر وفي «الحياة التافهة» تساعده لعبه الاقدار بان يصل الى السلطة فلا تحمل شخصيته العاديه تغيراً مفاجئا مثل هذا فيجعل من السلطة متنفساً لعقده المكبوتة، جاء بعد عهد من البطولة وجاء بعد ملحمة من الاعمال لم تكن مقتصرة على مصر بل شاركت فيها جماهير الامة العربية بكاملها سواء اكانت المشاركة بالفعل أم بالتفكير والعاطفة، وبالرغم من ان ذلك العهد كان ايضا يعني من نواصص فادحة لم تتح له ان يتوج تلك الملحمة بالنصر المبين بل انتهت كما نعرف، جميعا بشكل مؤلم فاجع وتحملت الامة العربية كلها نتائج تلك المغامرة ولكن ذلك كله لا يمحو حقيقة مغروسة في قلوب الجماهير العربية وقلوب جماهير مصر بان محاولة صادقة جرت - محاولة بطولية جرت في عهد عبدالناصر من اجل توحيد القوة العربية في وجه اعداء الامة الاستعماريين ومحاولة لتشويه الجماهير واستخراج القوى الثورية والنضالية في عدة ساحات عربية، ولست بحاجة الى ان اذكر وانا اخاطب مناضلين بعثيين بأنه كان للبعث فضل وسبق واسهام كبير في خلق تلك الارضية الثورية في الوطن العربي وفي تمكين عبدالناصر من ان يتجاوب مع امني الشعب

العربي وان يقف تلك المواقف الجريئة الشجاعة في وجه الاستعماريين ، هذا الجو قد تغير واختلف بعد الهزيمة ثم بعد غياب عبدالناصر وآل الامور الى شخص السادات فلم يستطع ان يكتشف لنفسه دورا تاريخيا الا بحالة غير معقوله من الاستسلام والتبعية والذوبان في جسم الاعداء حتى عبر عن حصيلة ذلك في الخيانة السافرة التي اوصلته الى توقيع معاهدة الخيانة ..

نريد ان نخلص من هذا الى ان شيئا من شخصية السادات ساعد على ابراز موقف التبعية والاستسلام الى هذا الحد من الخيانة ولكن تبقى الحقائق هي اذا صرفا النظر عما اضافه شذوذ السادات من مبالغة في الموقف فان هناك حقائق لاتتغير تتلخص في ان الامة العربية وثورتها المعاصرة ستجد نفسها والى امد طويل امام طريقين ، طريق التخلی والمساومة والضعف والحرص على المصالحة الخاصة وطريق الرؤية الثورية والتجدد الثوري والانطلاق من مصلحة الامة ومن صورة مستقبلها كما يجب ان تكون وبالتالي من موقف الصمود والنضال والتضحية والمثابرة تغذيها بايمان متجدد وتعززها الانتصارات وخطوات التقدم المحتومه لأن الامة العربية دخلت ومنذ زمن في طور النهضة والصعود، في طور الانبعاث الحقيقي ، ويبقى ان هذا الانبعاث لا يستطيع ان يواكبها او يشعر بها او يؤمن به كل الحكم وكل الطبقات الحاكمة فلا بد من رؤية ثورية ولا بد من انحياز عميق الى مصلحة الجماهير الكادحة وارتباط مصيرها بها وايمان لا يتزعزع بامكاناتها وبيانها هي صانعة التاريخ . اما الحكم والطبقات التي تقللها وطأة مصالحها الخاصة من طبقية وفردية وتعمي ابصارها وتبدل حسها وهذه لم تكن في يوم من الايام ممن يصنعون التاريخ بل كانت هي العقبات في طريق الثورة وفي طريق التجدد ولا بد لحركة الانبعاث حتى تنمو وتتفتح وتكبر وتتصلب من ان تعارض العقبات ومن ان تعيش الواقع العربي بكل امراضه لتحسين وضع العلاج له ولكي تتغلب على الامراض والعقبات واحدة تلو الاخرى ..

ان جماهير مصر العربية لئن كانت حتى الان لم تثر ثورتها لتسقط الخائن ونظامه فلن يكون هذا بعيد وقد اعطت جماهير شعبنا في مصر البراهين الكثيرة على ثورتها وروح التضحية عندها بما فيه الكفاية لكي لا يدخلنا ريب فيما سيكون موقفها وفيما

هي حقيقتها وحقيقة معاناتها ونحن نعرف ان اعداءنا الذين يملكون الوسائل الرهيبة وسائل العلم الحديث المنصرف الى الشر والجريمة كيف يتوصلون في فترات مؤقتة الى كبت حرية الشعوب وحصارها ولكن ذلك يبقى الى زمن محدود حتى تختمر الثورة وتؤذن بالانفجار .

أيها الرفاق

ما دامت حركتنا الثورية والثورة العربية بوجه عام ، تتقدم وتقرب من النضج فأن من مستلزمات النضج ان تأخذ من كل ظرف عبرته وفائدته ، ان تأخذ حتى من النكسات ومن المؤامرات ما يساعد على مزيد من الوضوح في رؤيتنا ووعينا ومزيد من الصواب في سيرنا وفي تحطيطنا لموضوع مصر ليس جديداً والمناضلون البعشيون لهم معاناة خاصة في هذه العلاقة مع اكبر قطر عربي اذ كنا دوماً نتمنى ان نجد التجاوب التام والفهم المشترك مع الجماهير والحركات التقدمية في قطرنا العربي مصر وكنا نصطدم ببعض الفروق نتيجة اختلاف في التجارب وفي الظروف يعكس علىوعي العربي في مصر وكان حزبنا اسبق واقدر من غيره على استكناه هذه الفروق وعلى فهم هذه الخصوصية لكي يكون اقدر على التعامل والفهم والتفاهم مع اخوتنا في مصر ولكننا في الوقت نفسه نعترف باننا لم نبذل بعد كل الجهود المطلوبة من اجل عمل ضخم يسرع اندماج مصر في حركة الثورة العربية ، وهذه مهمة تأتي الظروف الخطيرة الان ، ظروف المؤامرة لتتبناها تنبئها فيه بعض العنف والقسوة لكي نولي هذه المهمة قدر اكبر من العناية والجهد فلا يخطر ببالنا ولا يجوز ان يخطر ببالنا لحظة واحدة ان هناك تقصيرنا من مصر وحدها والتقصير عام ومتعدد ومشترك ، وهذا ما يجب ان نعيه ونلح عليه ويجب ان نبدأ بانفسنا ويجب ان ننبه الجماهير العربية في بقية اجزاء الوطن الى تقصيرها مثلما نبه الطلائع الوطنية والعربية في مصر الى ضرورة مزيد من المبادرات نحو بقية الاقطار العربية ونحو حركة الثورة العربية لتنغلب على صعوبه هي عامل بطء في مسيرة الثورة العربية هذا ما نستفيده من عبرة الظرف الراهن ولكننا في الوقت نفسه نؤمن بان ما يجري باسم مصر هو زائف ومزور ومفروض لا يمثل مصر وشعبها واننا اقرب الف مرة الى جماهير مصر والى مشاعرها

والى مصلحتها والى طموحاتها من هذا النظام الخائن المفروض بقوة الاجنبي والذى يتعارض مع ابسط بدويهيات الواقع والتاريخ العربي .

قلنا أيها الرفاق بان الوضوح في الطرف الراهن لم يشأ الاعداء بقدر ما فرضه سير النضال العربي ، هذا الوضوح الذي جعل الامبراليه الامريكيه تقوم بدورها الرخيص المفضوح لانجاز مؤامرة لايمكن ان تصمد ولايمكن ان تخدع احدا معتقدة ان كسبها للسادات هو كسب لمصر في البدء وللعرب فيما بعد وان العرب يمكن ان ينخدعوا بنظرة السادات الى الصهيونية والكيان الصهيوني وان يُيرئوا الصهيونية من كل عنصرية ومن كل شر قامت عليه وان يُيرئوا الكيان الصهيوني من كل اغتصاب ومن كل اثم اقترفه بحق العرب طوال عشرات السنين وأن يطمئنوا الى المستقبل والى ان التعايش ممكن وسلام العواقب . فهذه امور لم يعد الطور الذي بلغته الامة العربية وجماهيرها وحتى الطبقات الحاكمة يمكن ان تقتنع بذلك وان يكابر احد في امور اصبحت حقائق في نظر العالم وفي نظر وعي وضمير الشعوب كلها . ذلك اذاً لن يؤثر على صراعنا التاريخي لا مع الصهيونية ولا مع الامبراليه ولكننا امام صدمة كالتي نواجهها مطالبون بان نتصور المستقبل وما يجب ان نعد لهذه المؤامرات من خطط ووسائل وما يجب ان نسلح به جماهيرنا منوعي وروح نضالية لكي تستمر المسيرة وتتصاعد فلا خوف ان يتمكن الاعداء من فصل مصر عن جسم الامة العربية فالعرب قد دخلوا عصر الوحدة حتى عندما انتكست التجربة الاولى للوحدة كان انتكاسها درسا مفيدا وغذاء ضروري لكي تأتي التجربة الجديدة وقد توافرت لها شروط من الصحة والنضج تضمن لها البقاء والنمو .

أيتها الرفيقات والرفاق .

هناك جواب واحد في ضمائركم وعلى المستكم وفي ضمير كل عربي مخلص جواب للرد على المؤامرة هو بالوحدة ، تعرفه الجماهير بغيريتها ونعرفه بصلتنا العميقه بمصير امتنا ويفكرنا البعضي الذي انطلق منذ بدايته من النظرة الوحدوية واعتبرها اكثر اهداف الثورة ثورية . الرد على المؤامرة بالوحدة ولكن يجب ان نستفيد من قسوة الظرف وصمده العنيف لنفوسنا لكي نلتقط الصورة الحية الصورة ، الصحيحة التي

يجب ان تكون وتبني عليها الوحدة، وحدتنا. وحدة البعث كانت منذ البدء وستبقى في تصورها الاول وال دائم وحدة مواجهة، وحدة قتال، وحدة جماهير، جماهير مناضلة ستبقى وحدة لا تستقر ولا تهدأ لأن غايتها توحيد الامة العربية كلها وتحرير الامة العربية كلها فلن نغرق في بناء الدولة وان كانت الوحدة لا تستغني عن الدولة وان كانت الوحدة تحتاج الى ارض وتحتاج الى وسائل لكي تنطلق في اداء مهامها ولكنها ستبقى متواترة نزاعاً الى التقدم والى التوسيع والى الهجوم، الهجوم لكسب الجماهير العربية قاطبة، لتجسيد آمال ومطامع هذه الجماهير في كل بقعة عربية. هذه الوحدة التي تبقى في افق تصورها التاريخي ، هذه وحدتها قابلة للحياة وللاستمرار ولأن تقوى وتزداد قوتها اما الوحدة التي تقعن وتفرح بداخل البيت وبيان ترتيب وتنظيم ما هو داخل البيت وتنسى مهامها البعيدة فسوف تكون معرضة لأن تذوي وتختفق من ضيق الافق ومن الانشغال في الامور الصغيرة ومن شحة الهواء ، فالوحدة حتى لو كانت خطوة جزئية فهي الوحدة العربية ويجب ان تشعر وتعتبر نفسها دوماً ممثلة للامة العربية في حالتها الثورية ، في وضع الثورة لمواجهة اعدائها التاريخيين وفي وضع الثورة من اجل تحقيق نهضتها وحضارتها . . .

أيها الرفاق

قلت في بدء حديثي باننا لانستخف ولا يجوز ان نستخف بالمؤامرة الكبيرة التي نجح الاعداء ولو في الظاهر في تنفيذها وقلت ايضا باننا رغم حملها على محمل الجد ورغم تنبئنا لكل مخاطرها فاننا نشعر باننا اقوى من اي وقت مضى على مواجهتها ومواجهة كل المؤامرات واننا قد استطعنا حتى الان ان نكون للثورة العربية سمات وملامح وشروط العمل التاريخي ، وأن تكون الجسم الحي العضوي الذي ينمو نمواً طبيعياً سليماً ويستقطب ، كل ماحوله ، فلا تجد الامة أنى تلفت إلا هذا العمل ذا القسمات الواضحة الذي تطمئن الامة الى ان تصب فيه جهودها وان ترفرف بالقوى الجماهيرية تباعاً ، هذا انجاز ليس بالسهل . وعندما تصل حركتنا الى هذا الحد من التكوين الصحي الذي يكتسب ثقة ومصداقية ، نستطيع ان نواجه المستقبل بروح العزم والنفاذ لأن كل شيء سيتحول الى غذاء لهذا العمل التاريخي ، النجاح

والفشل السهولة والصعوبة ، ذلك لأننا كما قلت أمة في مرحلة الانبعاث نعمل لمدى اجيال طويلة ونعمل من الداخل وننمو من الداخل بينما اعداؤنا يعملون للظرف القصير، للوقت القصير، للنفع العاجل ليس لهم جذور في الأرض وليس لهم رسالة تحدوهم وتلهم مسيرتهم فهذه المؤامرة هي واحدة من مؤامرات عديدة سبقتها بل هي محصلة للمؤامرات التي سبقت ولن تكون الأخيرة لأن الاعداء لن يتوقفوا عن عدوائهم واطماعهم واننا نواجهها الان ، بما اعددنا في السنين الماضية ، نواجهها بحصيلة نضالنا الطويل السابق لذلك نشعر بثقة بالنفس لأنها لا تفاجئنا ولا نرتجل المواجهة ارجلا . كذلك نجاحنا في المستقبل يتوقف على اعدادنا منذ الان لأن الحركة الثورية اذا لم تستطع المستقبل وتعد له وتعمل بهدي مقاييسه ومتطلباته فانها لا تكون ثورية حقاً .

أيها الرفاق

فكرتنا منذ البدء هي هذا التطلع الى المستقبل هذه الرؤية الثورية التي نحاول فيها جهدنا ان نرى صورة المستقبل فنطبق شروطه في الحاضر حتى نساعد على ولادته ، نعزف عن العاجل من اجل المستقبل ، لا نهمل الحاضر ولكن بعقلية ونفسية الذين يبنون المستقبل هذا هو بالذات التفكير الوحدوي الذي ميز حركتنا ، هذا هو المناخ الذي نبت ونمـت فيه الفكرة الوحدوية في حزبنا لأن الوحدة عندما قام الحزب كانت مجرد فكرة وابعد الافكار عن امكان التحقيق ولكن الحزب آمن بانها هي اقوى من الحقائق كلها ، ومنها ومن هذا الایمان ، من هذه القناعة استمد قوته على الصمود والاستمرار حتى وصل الى الحد الذي يستطيع فيه ان يجسد فكرة الوحدة . .

أيها الرفاق

هذا المنطلق الوحدوي هو المنطلق الثوري وثورية البعث واخلاقية البعث حيث تلتقي الثورية بالاخلاقية ويندمجان معا لأن الوحدة تتطلب التجدد ، تتطلب التضحية بمصالح آنية كثيرة تتطلب النظر البعيد والصبر والعمل الدؤوب حتى تخرج الامة الى حيز الواقع لأن الامة بدون وحدة هي مشروع امة فقط ، هذه النظرة التي ابتدأ بها البعث هي التي يجب ان نعود إليها دوما لكي نقوى على مواجهة الصعاب ،

نقوى على مواجهة الظروف الخطيرة اي ان البعث هو دوما للامام وللمستقبل وللامة،
للآخرين من شعبنا، بتاريخنا، لجيالنا، هذه النظرة هي التي تستطيع ان تجمع
الاجيال المناضلة من العشرين قديمها بحديثها، لأن الاجيال الحديثة اذا لم تعيش في
ذلك الجو الذي بدأ منه البعث فان المبادئ التي تعمل لها قد تفقد شيئاً من
حيويتها. في كل ظرف خطير هذه الرؤية الصافية الصادقة هي التي وضعتنا على
طريق النضال والتضحية والسعادة الفائقة لخدمة امتنا والسلام . . .

٢٨ آذار ١٩٧٨